من هو المُقَوْقِس

لمَّا نشرنا رواية عروسة النيل في العام الماضي علَّقنا على الفصل الاول منها حاشية قلنا فيها "اختلف الكتَّاب في مَن هو المقوقس الذي ذكر مؤرخو العرب انهُ كان والياً على مصر وقت الفتح وقبلهُ . والمرجَّح الآن انهُ والٍ صغير من ولاة الاقاليم ساعد عمرو بن العاص على دخول مصر وان المقوقس لقب لهُ وهو باليونانية μεγαυχής اي الفخور او المجيد واسمهُ جُرَيج بن مينا على ما قالهُ المؤرخ الشيخ ابو صالح الارمني"

ولم نكن نعلم حينما كتبنا هذه السطور ان عالماً انكليزياً[1] من الباحثين في التاريخ المصري باذلٌ همتهُ في تحقيق امر المقوقس . وقد اطَّلعنا الآن على كتاب كبير نشرهُ في آخر العام الماضي موضوعهُ "فتح مصر والاسكندريَّة" الحق بهِ فصلاً مسهباً اقام فيهِ الادلَّة الكثيرة على ان المقوقس هو البطريرك قيرُس الملكي الذي نُصِّب على كرسي البطريركية الاسكندريَّة قبل الفتح بعشر سنوات فاضطُّهد القبط شديد الاضطهاد حتى لم يكبر عليهم ان يعاونوا العرب عليهِ حينما اضطروا الى ذلك . وقد رأينا ان نترجم هذا الفصل بعض تصرُّف ونعلق عليهِ من الحواشي ما تزيد بهِ الفائدة ونرد ما اقتبسهُ من التواريخ العربية الى اصلهِ العربي حينما يتيسَّر لنا ذلك . قال المؤلف ما خلاصتهُ

اتَّفق كتاب التاريخ على ان المقوقس لقبٌ لرجل كان لهُ شأن كبير عند الروم وقت فتح مصر وانهُ هو الذي سلَّمها للعرب او صالح العرب عليها ولكنهم اختلفوا في اسمهِ وجنسهِ ووظيفتهِ والعمل الذي عملهُ ومعنى هذا اللقب . وقد كثر الجدال في هذه المسائل الآن ولا غرابة في ذلك لان كتَّاب العرب خبطوا في هذا الموضوع خبط عشواء من قديم الزمان

ثم ذكر كلام كثيرين من المؤرخين الاوربيين المحدثين مثل فون رنكي الذي قال ان المقوقس كان والي مصر وانهُ من القبط . وده غوجه الذي قال ان بعض مؤرخي العرب خلطوا احياناً بين المقوقس والبطرك قيرش بطرك الاسكندرية مع انهما شخصان مختلفان . والمستر ملن الذي قال ان المقوقس هو جريج الذي ذكرهُ يوحنا النيقوسي وقال انهُ كان والياً على اتريب . ومال الاستاذ ستانلي لاين بول الى هذا الرأي وحسب انهُ من القبط . وقال الاستاذ بري انهُ كان والي مصر كلها وكان من القبط . اي ان جمهور الكتاب الاوربيين المحدثين على ان المقوقس لقب لوالي مصر كلها من قبَل الروم او لوالي عمل من اعمالها وانهُ كان من القبط لا من

(1) هو الدكتور الفرد بطلر Alfred Butler D. Litt., F. S. A. واسم كتابهِ The Arab Conquest of Egypt.

الروم . ثم انتقل المؤلف الى اقوال مؤرخي العرب في هذا الصدد فذكرهم حسب ازمنتهم قال

قال البلاذري [١] " ان المقوقس صالح عمرو بن العاص فبلغ ذلك ملك الروم فسخطهُ وبعث بجمع من الروم فاغلقوا باب الاسكندريَّة واذنوا عمرًا بالحرب فخرج اليهِ المقوقس فقال لهُ اسألك ثلاثًا ان لا تبذل للروم مثل الذي بذلتَ لي وان لا تنقض بالقبط فان النقض لم يأتِ من قبلهم " الخ

وقال الطبري [٢] " فنقبهم هنالك (امام حصن بابل) ابو مريم جاثليق مصر ومعهُ الاسقف بعثهُ المقوقس " وقال عن المقوقس في مكان آخر انهُ صاحب الاسكندريَّة

وقال ابن البطريق [٣] وكان العامل على الخراج بمصر المقوقس من قبل هرقل وكان يعقوبيًّا مبغضًا للروم الَّا انهُ لم يكن يتهيأ لهُ ان يظهر مقالة اليعقوبية لئلاَّ يقتلوهُ وكان ايضًا قد أقطع اموال مصر من وقت حصار كسرى للقسطنطينية فكان يخاف ان يقع في يد هرقل الملك فيقتلهُ "

وقال ساويرس بن المقفع اسقف الاشمونين [٤] في كتابهِ سير البطاركة "ولما ملك (هرقل)

---

(١) البلاذري من اقدم المؤرخين ولد سنة ٨٠٦ للميلاد وتوفي سنة ٨٩٢ او ٢٧٩ للهجرة وكتب كتابهُ فتوح البلدان سنة ٨٦٨ للميلاد اي بعد فتح مصر بنحو ٢٣٠ سنة وهو من اقدم التواريخ واوسعها واصحها و يظهر منهُ ان المؤرخين كانوا مختلفين جدًّا في امور كثيرة من حيث زمن الفتح وطرقهُ

(٢) الطبري قال في وفيات الاعيان انهُ محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير كان اماماً في فنون كثيرة وتاريخهُ اصح التواريخ العربية واثبتها . وكانت ولادتهُ سنة ٢٢٤ بآمل طبرستان وتوفي سنة ٣١٠ ببغداد

وكتب دي غوجه مقالة مسهبة عنهُ في الانسكلوبيذيا البريطانية قال فيها ان تفسيرهُ دعامة كتب التفسير كما ان تاريخهُ دعامة كتب التاريخ . و بين انهُ كان عمدة كل المؤرخين الذين تلوهُ فاختصروهُ بعضهم او اضافوا اليهِ حتى يعد الى عهدهم كالنويري والمقدسي وابن مسكويه وابن الاثير

وقال الدكتور بطلر ان تاريخ الطبري على اتساعهِ اوجز الكلام جدًّا على فتح مصر وخلط بين الاماكن واخطأ في تتبع الحوادث فذكر فتح الاسكندرية قبل فتح مصر ولعلَّ السبب من الناسخ لا من المؤلف

(٣) هو سعيد بن البطريق بطريرك الاسكندرية قال في عيون الانبا انهُ من اهل فسطاط مصر وكان طبيبًا نصرانيًّا مشهورًا عارفًا بعلم صناعة الطب وعملهِ ولد سنة ٢٦٣ للهجرة وجعل بطريركًا على الاسكندرية وسمي اوتوشيوس وعمرهُ نحو ستين سنة وبقي في الكرسي والرئاسة نحو سبع سنين وستة اشهر ومات سنة ٣٢٨ للهجرة ولهُ كتب كثيرة في الطب والتاريخ المشهور بنظم الجوهر

(٤) قال الدكتور بطلر انهُ اسقف قبطي كتب تاريخ البطاركة و يوجد من كتابهِ ثلاث نسخ معروفة واحدة في المتحف البريطاني وهي من القرن الخامس عشر وواحدة في مكتبة باريس من القرن الرابع عشر والثالثة اقدم منها وهي عند مرقس بك سميكه في القاهرة . وكان في القرن العاشر للميلاد . وفي نسخة باريس مقدمة لمحبوب بن منصور احد خماسة الاسكندرية كتبها في النصف الاخير من القرن الحادي عشر

الارض اقام الولاة في كل موضع وانفذ واليًا الى ارض مصر يدعى قيرس ليكون بطركًا ووالياً فلما وصل الى الاسكندريَّة اعلم الابا بنيامين ملاكُ الرب بهِ وامرهُ ان يهرب هو ومن معهُ ههنا لان شدائد عظيمة تنزل عليهم "

ثم قال عن سني الاطهاد " وهي السنين التي كان فيها هرقل والمقوقس مسلَّطَيْنِ على ديار مصر ". وقال ايضاً " فلما تمت عشر سنين من مملكة هرقل والمقوقس ". وايضاً "خاف الكافر والي الاسكندريَّة وهو كان واليها وبطركها من قبل الروم "

ثم جاء ابن الاثير[1] فقال " اخذ المسلمون باب اليون وساروا الى مصر فلقيهم هناك ابو مريم جاثليق مصر ومعهُ الاسقف بعثهُ المقوقس لمنع بلادهم " .... الى ان قال " فلما التقى المسلمون والمقوقس بعين الشمس واقتتلوا ..... ثم سار عمرو حتى بلغ الاسكندرية فوجد اهلها معدين لقتالهِ فارسل المقوقس الى عمرو يسألهُ الهدنة الى مدة فلم يجبهُ الى ذلك وقال لقد لقينا ملككم الاكبر هرقل فكان منهُ ما بلغكم فقال المقوقس لاصحابهِ صدق فنحن اولى بالاذعان ... وصالح عمرًا على اثني عشر الف دينار " الى غير ذلك من الخبط الكثير ولاسيما في ما رواهُ عن اوائل الفتح

وكتب ابو صالح الارمني[2] في اواسط القرن الثاني عشر للميلاد فقال " وكان محمد قد سير حاطب ابن ابي بلتعة ابن عم الى المقوقس صاحب الاسكندريَّة ". وقال في الكلام على دير في الصعيد " كان يأوي فيهِ بنيامين البطرك مختفياً في مملكة هرقل ملك الروم الخلقيدوني وجريج ابن مينا المقوقس بمصر الى انقضاء مدة عشر سنين خوفًا منهما كما وعدهُ الملاك وهي مدَّة تسلُّطهِ على الارثذكسيين وطلبهِ منهم الاعتراف لهُ بالامانة المخالفة للحق الصحيح ونالت النصارى منهم صعوبة شديدة ولم يجحدوا امانتهم " . وقال قبل ذلك انهُ وجد في كتاب الجناح "وكان الاسقف من الروم بمصر والاسكندريَّة يسمَّى قيرس "

وقال ياقوت الحموي[3] ان امير الحصن كان وقت الفتح " المنذفور الذي يقال لهُ الاعرج من قبل المقوقس بن قرقب اليوناني وكان المقوقس ينزل الاسكندرية "

---

(١) ابن الاثير من اشهر مؤرخي العرب ولد بالجزيرة وسكن الموصل ثم رحل الى الشام والقدس وتاريخهُ الكامل يبتدئ من اول الزمان الى آخر سنة ٦٢٨ للهجرة وكانت وفاتهُ سنة ٦٣٠ هـ الموافقة سنة ١٢٣٣ للمسيح

(٢) ابو صالح الارمني كان معاصرًا لابن الاثير او سابقًا لهُ فقد قال في اول كتابهِ " نبتدئ بعون الله وارشادهِ ان في خضرنا هذا في ابتداء سنة اربع وسبعين وخمس مائة كان بناء الكنيسة التي على اسم مارمي بعقوب بناحية البساتين "

(٣) ياقوت الرومي الحموي أُسر من بلادهِ صغيرًا وابتاعهُ تاجر ببغداد وعلمهُ وشغلهُ بالاسفار في

وقال المكين[٤] ان المقوقس كان والي مصر من قبل هرقل وانهُ صاحَ عمرًا هو وكبار القبط وجاء ابن خلدون بعدهُ[٥] فتابع ابن الاثير في خبطهِ وجعل المقوقس من القبط وابن دقماق[٦] جعل المقوقس رومانيًّا وقال انهُ نائب هرقل. ونقل المقريزي[٧] عن يزيد بن ابي حبيب ان المقوقس كان رومانيًّا وتابع ابن عبد الحكم في ابقاء المقوقس الى زمن فتنة مانوئيل وتابع يافوت في وصفهِ المقوقس بانهُ ابن قرقب اليوناني . وقال انهُ كان للقبط بطرك في الاسكندرية اسمهُ ابو ميامن وان المقوقس صاحَ العرب لكن هرقل لامهُ على تمثُّلهِ بالقبط وقال انهُ اقام قيرش بطرك الاسكندريَّة

وقال الواقدي[٨] ان ملك القبط كان يومئذٍ المقوقس بن راعيل

وذكر ابو المحاسن[٩] ان بنيامين كان بطرك القبط في الاسكندريَّة وانهُ كان على قصر الشمع رجل من الروم يقال لهُ الاعرج اميرًا عليهِ من قبل المقوقس وسمي المقوقس في نسختين بجريج ابن مينا وقال في مكان آخر ان الاعرج هو المندقور وكان من قبل المقوقس بن قرقب اليوناني ونقل عن ابن كثير انهُ لما دخل العرب مصر لاقاهم ابو مريم جاثليق مصر وابو مرتام الاسقف

وقال السيوطي[١٠] انهُ كان على الحصن المندقول المسمَّى بالاعرج من قبل المقوقس بن قرقب اليوناني الذي كان مقيمًا في الاسكندريَّة وان اسم الاسقف اليوناني ابوميامن

متاجرهم ثم عنفهُ فاشتغل بالنسخ بالاجرة ثم صار يتجر بالاكتب ثم الف كتبًا جمة اشهرها معجم البلدان وكانت وفاتهُ سنة ٦٢٦ للهجرة الموافقة سنة ١٢٢٩ للميلاد

(٤) هو جرجس المكين ابن العميد النصراني بن ابي المكارم اختصر تاريخ الدبري ثم كملهُ وتوفي بدمشق سنة ٦٧٢ للهجرة الموافقة سنة ١٢٧٣ للمسيح

(٥) ابن خلدون اشهر من ان يُذكر وكانت وفاتهُ بالقاهرة سنة ٨٠٨ للهجرة الموافقة سنة ١٤٠٥ للميلاد

(٦) كاتب مصري توفي سنة ١٤٠٦ للميلاد وكشف كتابهُ سنة ١٨٢١ وطبع على نفقة الكتخدا الخديوية

(٧) هو تقي الدين المقريزي البعلبكي الاصل المصري الدار والوفاة وله كتب كثيرة اشهرها كتاب الخطط والآثار توفي سنة ٨٤٥ هجرية الموافقة سنة ١٤٤١ للميلاد

(٨) الواقدي من اشهر المؤرخين واقدمهم فانهُ توفي سنة ٢٠٧ للهجرة الموافقة سنة ٨٢٣ للميلاد وانكتاب المشهور بفتوح الشام منقولة رواياتهُ عنهُ ومحشاة بكثير من الاخبار الموضوعة وقد ظهر من بحث الباحثين ان اكثر ما نقل عنهُ من الاخبار التاريخية صحيح ولا سيما في تاريخ وقوع الحوادث

(٩) هو الامير جمال الدين ابو المحاسن ولد في القاهرة في اوائل القرن التاسع للهجرة وصنف كتبًا كثيرة منها المنهل الصافي وتكملة تاريخ السلوك للمقريزي وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة وغيرها وكانت وفاتهُ سنة ٨٧٤ للهجرة الموافقة سنة ١٤٦٩ للميلاد

(١٠) هو الامام جلال الدين السيوطي صاحب المصنفات الكثيرة ومنها حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة كانت وفاتهُ سنة ٩١٦ للهجرة الموافقة سنة ١٥٠٥ للميلاد

ويستخلص من التواريخ العربيَّة على ما فيها من قلة التدقيق ان هناك ثلاثة رجال يهمنا البحث عنهم وهم المقوقس وابو مريم والاعرج وهاك ما يقال عنهم مبتدءًا من الاخير

(١) الاعرج او الأغرج او الأُعَيْرج — ذكر هذا الاسم اولاً على ما يظهر ياقوت الحموي في اوائل القرن الثالث عشر للميلاد وقال انهُ كان امير الحصن ولقَّبهُ بالمندفور ولعلها المندتور والتحريف من النسَّاخ والمندتور كلة يونانيَّة معناها الامير . وتابعهُ ابو المحاسن والسيوطي وزاد السيوطي في تحريف هذه الكلة فجعلها المندفول . وقال الاستاذ لاين بول ان الاعرج محرف من كلة ارتابن وهو اسم احد القواد الرومانيين وانهُ كان يكنى بابن قرقب وعندي ان الاعرج تحريف كلة جريج وان اسم امير الحصن كان جريج او جورج والمرجح انهُ غير جورج الوالي الذي ذكرهُ يوحنا اسقف نيقوس

(٢) ابو مريم — قال الاستاذ لاين بول انهُ جاثليق مصر . ومعنى جاثليق بطرك وقد ذكرهُ اولاً بهذا اللقب الطبري لانهُ لقب لبطاركة الكنائس النسطوريَّة والارمنية وكان مألوفاً عندهُ لاتصالهِ ببلاد الفرس . وقال الطبري انهُ كبير اساقفة النصارى لكنهُ كناهُ بابي مريم ومعلوم انهُ كان في مصر في زمن الفتح بطركان قيرس وبنيامين . فابن مريم لا يصح ان يكون محرفاً من قيرس ولكن يصح ان يكون محرَّفاً من بنيامين وزاد تحريف الاسم في زمن ابن الاثير فصار ابو مريم وسماهُ السيوطي ابا ميامين . وواضح ان ابا بنيامين حُرِّف فصار ابا ميامين ثم ابا مريم وعليهِ فابو ميامين هو البطرك بنيامين بطرك القبط اليعاقبة

لكن الطبري وابن الاثير جعلا بنيامين اميرًا على الحصن من قبل المقوقس الذي كان في سلطان هرقل وهذا خطأٌ ولا يركن الى ما قالاهُ لانهُ ثابت من اقوال غيرهما ان البطرك بنيامين اختبأ في الصعيد مدة مني الاضطهاد العشر ومدة سنوات الفتح الثلاث والظاهر ان مؤرخي العرب رأوا لبطرك الاسكندرية شأنًا في زمن الفتح وانهُ هو الذي سلَّم الاسكندريَّة لما عصى مانوئيل تخلطوا بين ما فعلهُ قيرس البطرك اليوناني وما فعلهُ بنيامين البطرك القبطي

(٣) المقوقس — ان المؤرخين الاقدمين الذين اشرنا اليهم كالبلاذري والطبري وابن البطريق وساويرس اسقف الاشمونين وابن الاثير لم يُكنُّوا المقوقس واول من قال انهُ ابن مينا الشيخ ابو صالح الارمني سنة ١١٦٨ للميلاد وقال ياقوت الحموي انهُ ابن قرقب اليوناني كأنهما نقلا هاتين الكنيتين عن مصدرين مختلفين ويؤيد ذلك ذكرهما معًا بعدئذٍ في مؤلف واحد كما في كتاب ابي المحاسن

ثم خطأ الطبري وفسَّر ما قالهُ سعيد ابن البطريق من ان المقوقس كان يعقوبيًّا مبغضًا للروم

بان " ابن البطريق كان ملكيًّا فجعل المقوقس يعقوبيًّا لكي لا يقع على الملكيين تبعة ما فعله" ثم قال ولا يكشف امر المقوقس الاَّ ساويرس ابن المقنع القبطي وقد ألَّف كتابهُ من كتُب كثيرة كانت محفوظة في دير مقاريوس وقد تقدَّم انهُ قال عن قيرس ان هرقل اقامهُ واليًا وبطركًا على ارض مصر وانهُ اضطهد اليعاقبة عشر سنين ثم لقبهُ بالمقوقس قائلاً السنين التي كان فيها هرقل والمقوقس مسلطين على ديار مصر وقال عن لسان بنيامين ان المقوقس طردني

ويظهر من مجمل هذه العبارات ان ساويرس اسقف الاشمونين كان يحسب قيرس بطركًا ووالياً على ديار مصر من قبَل الروم وانهُ هو المقوقس الذي اضطهد البطرك بنيامين عشر سنين

واقام الدكتور بطلر الادلَّة على ان الاسقف ساويرس مصيب في ذلك واشتهد بما نقلهُ المسيو اميلينو العالم الفرنسوي من السنكسار القبطي وهو " كان المقوقس رئيس الامانة الخلقيدونيَّة واقيم والياً وبطركًا على مصر ". وما نقلهُ السنيور بريرا العالم البرتغالي من السنكسار الحبشي وهو " المقوقس الذي كان والياً وبطركًا على الاسكندريَّة وكل ارض مصر ". فثبت من ذلك ان المقوقس كان والياً وبطركًا على ارض مصر في زمن الفتح وانهُ هو البطرك قيرس الاسكندري

اما تلقيب صاحب مصر بالمقوقس قبل الفتح بزمن فحسبهُ الدكتور بطلر خطا من كتَّاب العرب الذين رأَوا صاحب مصر وقت الفتح يلقَّب بالمقوقس فظنوا ان هذا كان لقب صاحبها في زمن النبي ايضًا

واما كلمة المقوقس فقالي اميلينو وبريرا انها مشتقة من كوكيون باليونانيَّة اسم نوع من النقود لان المقوقس كان على جباية الخراج كما تقدَّم لكن الدكتور بطلر لم يصوِّب هذا الرأي بل قال ان اللفظ الحبشي لهذه الكلمة هو المُقَوْقَس بفتح القاف الثانية وان هرقل نقل قيرس الى مصر من بلاد القوقاس فلا يبعد ان يكون لُقِّب في مصر بالقوقاسي وهي او قوقاسيوس باليونانيَّة وبكوخيس بالقبطية ولا يبعد ان تكون الكلمة القبطية حُرفت في نقلها الى العربية فصارت مقوقس او قُدِّمت عليها الميم للنسبة (كالمصَّرلين اقام في مصر) ولكلمة كوكس اليونانية معنى قبيح فلا يبعد ان يكون القبط لقبوهُ به كراهةً لهُ او رأَوا في نسبتهِ الى القوقاس تورية عن هذا المعنى فلقبوهُ به كما لقبوهُ بالكافر والدجال وابن الشيطان

هذه خلاصة ما اوردهُ الدكتور بطلر ويظهر لنا انهُ حلَّ عقدة غامضة من عقد التاريخ وابان ان البحث الدقيق يجلو اغمض المسائل